نصيحتي والتماسي للشيخ مشاري بن راشد العفاسي

البحر: الوافر التام — عدد الأبيات: 111

قال الفقير لعفو ربه الغنيّ/ أبو قُدامةَ المِصريّ «عفا الله عنه»:

«مِشَارِي يَا ابْنَ رَاشِدٍ الْعَفَاسِي» بَعَثْتُ إِلَيْكَ نُصْحِي وَالْتِمَاسِي
وَأَرْجُو اللهَ أَنْ يَحْظَىٰ قَبُولًا لَدَيْكَ وَلَا يُرَدَّ مِنَ الْأَسَاسِ
فَكَمْ أَسْمَعْتَنَا الْقُرْآنَ غَضًّا طَرِيًّا مُسْتَسَاغًا دُونَ بَاسِ
نَدِيَّ الصَّوْتِ، يُثْلِجُ كُلَّ صَدْرٍ أَدَاؤُكَ ؛ بَلْ يُلَيِّنُ قَلْبَ قَاسِ
وَلَمْ تَكُ لِلتَّكَلُّفِ ذَاتَ يَوْمٍ قَرِيبًا أَوْ تَمِيلُ إِلَى الْمَسَاسِ
وَكُنْتَ وَلَمْ تَزَلْ أَهْلًا لِخَيْرٍ تَمُدُّ يَدًا تُهَنِّئُ أَوْ تُوَاسِي
وَدُودًا، طَيِّبًا، بَرًّا، خَلُوقًا بَشُوشًا، هَادِئًا، سَهْلَ الْمِرَاسِ
فَأَطْمَعْتَ الْمُحَبَّ لِبَذْلِ نُصْحٍ لَطِيفٍ دُونَ عُنْفٍ أَوْ رِفَاسِ
فَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ لِذِكْرِ عَيْبٍ وَكَيْفَ أَعِيبُ أَخْلَاقَ «الْعَفَاسِي»؟!
وَلَٰكِنِّي أَرَدتُّ بَيَانَ شَيْءٍ إِلَى الْقُرَّاءِ سُرِّبَ بِانْدِسَاسِ
وَلَمْ يَكُ فِي الْأَوَائِلِ مُسْتَبَاحًا فَصَارَ الْيَوْمَ يُنْدَبُ لِلْأَنَاسِي
يُقَالُ هُوَ التَّغَنِّي ؛ بَلْ غِنَاءٌ يُلَحَّنُ بِالْمَقَامَاتِ الرِّكَاسِ
وَكَيْفَ يَجُوزُ خَلْطُ كَلَامِ رَبِّي بِأَلْحَانِ الْفُسُوقِ وَالارْتِكَاسِ؟!
أَأَنْغَامٌ تُضَافُ إِلَيْهِ زَعْمًا لِتَحْسِينِ الْأَدَاءِ عَلَى الْقِيَاسِ؟!

أَإِحْدَاثٌ يُزَادُ عَلَيْهِ عَمْدًا ... فَيَفْتَحُ بَابَ شَرٍّ وَالْتِبَاسِ؟!
فَأَيُّ مَقَامٍ «الْمَعْصُومُ» أَوْصَىٰ ... بِهِ إِنْ كَانَ يُشْرَعُ فِي الْأَسَاسِ؟!
وَهَلْ «جِبْرِيلُ» عَلَّمَهُ مَقَامًا ... فَبَلَّغَ؟ أَمْ تَقَاعَسَ بِالتَّنَاسِي؟!
فَهَلْ لِي مِنْ مُجِيبٍ عَنْ سُؤَالِي ... يَكُفُّ عَنِ التَّظَاهُرِ بِالنُّعَاسِ؟!
وَيَجْهَرُ بِالْجَوَابِ وَدُونَ حَيْدٍ ... فَيَثْبُتُ الاعْتِرَافُ بِالانْدِسَاسِ
فَإِنْ قِيلَ: «اقْتِبَاسٌ مُسْتَسَاغٌ ... سَوَاءٌ مِنْ مَجُوسٍ أَوْ خِلَاسِي»
فَكَيْفَ تَلَا الرَّسُولُ وَمَنْ تَلَاهُ ... قُبَيْلَ حُلُولِ ذٰلِكَ الاقْتِبَاسِ؟
وَلَوْ شُرِعَ اقْتِبَاسٌ مِنْ شَرِيفٍ ... أَيَصْلُحُ الاقْتِبَاسُ مِنَ الْخِسَاسِ؟
فَمُحْدِثُ هَـٰذِهِ النَّغَمَاتِ قَوْمٌ ... قَدِ اشْتَهَرُوا بِفِسْقٍ وَانْتِكَاسِ
أَشَاعُوا لِلْفَوَاحِشِ إِذْ أَذَاعُوا ... مَعَازِفَهُمْ تُصَدِّعُ كُلَّ رَاسِ
وَكَمْ قَلْبًا أَزَاغُوا بِالْمَلَاهِي ... وَأَزُّوا الْمُتَّقِينَ لِشُرْبِ كَاسِ!
فَمَنْ رَامَ التَّشَبُّهَ فَلْيُفَاضِلْ ... لِيَصْحَبَ فِي الْقِيَامَةِ خَيْرَ نَاسِ
وَلَا يَرْضَ التَّسَاهُلَ فِي أُمُورٍ ... تُحَاطُ بِشُبْهَةٍ دُونَ احْتِرَاسِ
كَإِنْشَادِ الْقَصَائِدِ دُونَ عَزْفٍ ... بِخَلْفِيَّاتِ هَمْسٍ وَاحْتِبَاسِ
وَطَنْطَنَةٍ وَهَمْهَمَةٍ وَخَفْتٍ ... وَشَنْشَنَةٍ كَأَصْوَاتِ الْعُطَاسِ
وَبِئْسَ تَأَوُّهَاتٌ مِنْ ذُكُورٍ ... كَنِسْوَانٍ تَنُوحُ مِنِ ابْتِئَاسِ
فَيُنْتِجُ ذَاكَ تَأْثِيرًا شَبِيهًا ... بِمُوسِيقَىٰ تُهَيِّجُ لِلْحَوَاسِ

وَذٰلِكَ لَا يَلِيقُ بِأَيِّ شِعْرٍ ... عَفِيفٍ؛ بَلْ بِشِعْرِ «أَبِي نُوَاسِ»
وَلَوْ جَازَ التَّهَاوُنُ فِي نَشِيدٍ ... أَفِي الْقُرْآنِ يُسْمَحُ دُونَ بَاسِ؟!
فَمِثْلُكَ يَا لَبِيبُ يُجِيبُ فَوْرًا ... بِتَحْرِيمِ اقْتِرَابٍ أَوْ مَسَاسِ
وَمِثْلُكَ يَا حَصِيفُ يَخَافُ إِثْمًا ... وَفِي الشُّبُهَاتِ لَا يُلْقِي الْمَرَاسِي
فَدَعْ نَغَمًا يُحَفِّزُ لِلْمَعَاصِي ... وَسُلَّمَهُ لِيُوطَأَ بِالْمَدَاسِ
وَدُكَّ مَقَامَ «رَسْتٍ» وَ«الْبَيَاتِي» ... وَكُلَّ مَقَامِ فَرْعٍ أَوْ أَسَاسِي
وَإِنْ وَافَقْتَ بَعْضًا دُونَ قَصْدٍ ... فَلَا حَرَجٌ عَلَيْكَ مَعَ احْتِرَاسِ
وَبِالْعَفْوِيَّةِ اقْرَأْ وَابْكِ وَاخْشَعْ ... مُرَاعِيًا الْوُقُوفَ بِلَا الْتِبَاسِ
وَكَيْفَ تَشَاءُ حَبِّرْ كُلَّ حَرْفٍ ... مُحَقِّقًا الصِّفَاتِ بِلَا اخْتِلَاسِ
فَصَوْتُكَ مُفْرَدًا أَرْقَىٰ وَأَحْلَىٰ ... وَأَغْلَىٰ مِنْ جَوَاهِرِكَ النِّفَاسِ
وَفِي إِتْقَانِكَ التَّجْوِيدَ عَوْنٌ ... يُرَسِّخُ فِي التَّدَبُّرِ كَالرَّوَاسِي
يَزِيدُ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ حُسْنًا ... فَتَنْشَرِحُ الصُّدُورُ بِالائْتِنَاسِ
وَيَحْيَا الْقَلْبُ بِالْقُرْآنِ فَهْمًا ... وَيُغْرَسُ فِيهِ غَايَةَ الانْغِرَاسِ
وَحَسْبُكَ أَنْ تُرَتِّلَهُ خُشُوعًا ... فَيَنْسَى الْمُنْصِتُونَ لَهُ الْمَآسِي
جَزَاكَ اللهُ بِالْخَيْرَاتِ عَنَّا ... وَمِنْ تَقْوَاهُ زَانَكَ بِاللِّبَاسِ
وَزَادَكَ مِنْ نَعِيمِ الْعِلْمِ نُورًا ... تُضَاءُ بِهِ غَيَابَاتُ الرِّسَاسِ
وَأَصْلُ الْعِلْمِ أَنْ تَحْيَا شَحِيحًا ... بِوَقْتِكَ عَنْ سَفَاسِفَ الاخْتِلَاسِ

فَبَذْلُ الْوَقْتِ فِي التَّحْصِيلِ أَوْلَىٰ ... لِصَوْنِ الْقَلْبِ مِنْ سُوسٍ وَسَاسِ
وَبَذْلُ الْجُهْدِ فِي تَبْلِيغِ شَرْعٍ ... وَلَيْسَ بِنَشْرِ أَلْحَانِ «الْعَفَاسِي»
وَلَيْسَ بِسُلَّمِ الْأَنْغَامِ يَعْلُو ... مَقَامُكَ عِنْدَ رَبِّكَ ؛ بَلْ تُقَاسِي
كَذٰلِكَ كَثْرَةُ الْإِنْشَادِ تُلْهِي ... عَنِ الْقُرْآنِ أَفْئِدَةَ الْأَنَاسِي
وَنِسْبَتُهُ إِلَى الْإِسْلَامِ زُورٌ ... وَلَوْ أَدَّىٰ لِرِقَّةِ قَلْبِ قَاسِ
وَلَوْ أَفْتَاكَ مَنْ أَفْتَاكَ جَزْمًا ... بِتَحْدِيثِ الْوَسَائِلِ كَاللِّبَاسِ
فَقَدْ أَفْتَى «ابْنُ تَيْمِيَةَ» الْمُعَمَّىٰ ... عَلَيْهِمْ حَالُ أَصْحَابِ الْمِكَاسِ
وَبَيَّنَ أَنَّ تَوْبَتَهُمْ «سَمَاعًا» ... تُعَدُّ هِيَ ابْتِدَاعًا فِي الْأَسَاسِ
فَبِدْعَتُهُمْ أَشَرُّ مِنَ الْمَعَاصِي ... كَقَطْعٍ لِلطَّرِيقِ، وَشُرْبِ كَاسِ
وَأَفْتَىٰ كَـ«ابْنِ تَيْمِيَةَ» «ابْنُ بَازٍ» ... وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْقِمَمِ الرَّوَاسِي
بِتَوْقِيفِ الْوَسَائِلِ دُونَ رَيْبٍ ... عَلَىٰ وَحْيٍ بِهِ نَدْعُو الْأَنَاسِي
وَسَائِلُ، أَيْ: طَرَائِقُ، لَيْسَ يُعْنَىٰ ... بِهَا : آلَاتُ بَثٍّ أَوْ كَرَاسِ
فَغَايَتُكَ النَّبِيلَةُ لَا تُؤَدِّي ... لِتَبْرِيرِ الْوَسِيلَةِ بِانْعِكَاسِ
فَحَسْبُكَ الاتِّبَاعُ لِخَيْرِ هَدْيٍ ... وَتَرْكُكَ الانْصِيَاعَ لِرَأْيِ نَاسِ
وَأَفْهَامُ الْأَكَابِرِ مُسْتَرَاحٌ ... لِقَلْبِكَ مِنْ فَلَاسِفَةِ الْقِيَاسِ
فَفِي فَتْوَىٰ «مُحَدِّثِ عَصْرِنَا» خُذْ ... مُلَخَّصَ مَا ذَكَرْتُ فِي الالْتِمَاسِ
كَذَا «الْفَوْزَانُ» قَدْ أَمْلَىٰ شُرُوطًا ... لِإِنْشَادِ الْقَصَائِدِ دُونَ بَاسِ

كَمَا فَعَلَ الصَّحَابَةُ فِي ارْتِجَازٍ ... لَدَىٰ حَفْرِ الْخَنَادِقِ وَالرِّسَاسِ
وَقَدْ سَمِعَ النَّبِيُّ، وَفِي ارْتِحَالٍ ... حِدَاءَ مُرَوِّضِ الْإِبِلِ الشِّرَاسِ
وَمَا جَعَلُوهُ دَيْدَنَهُمْ ؛ وَلَٰكِنْ ... كَتَسْلِيَةٍ وَشَحْذٍ لِلْحَمَاسِ
وَمَا اتَّخَذُوهُ رَمْزًا أَوْ شِعَارًا ... لِدَعْوَتِهِمْ وَتَلْيِينًا لِقَاسِ
بَلِ اعْتَمَدُوا عَلَى الْوَحْيَيْنِ وَعْظًا ... وَمَا اخْتَرَعُوا وَسَائِلَ بِالْمَقَاسِ
فَحَيَّ عَلَى اجْتِهَادٍ فِي اكْتِفَاءٍ ... بِشَرْعٍ جَاءَ بِالْحِكَمِ النِّفَاسِ
وَرَبِّ هَوَاكَ أَنْ يَهْوَى اتِّبَاعًا ... لِخَيْرِ الْهَدْيِ مَبْرُورِ الْغِرَاسِ
وَمَنْ أَهْدَاكَ فِي الدِّينِ اخْتِرَاعًا ... فَنَقِّ يَدَيْكَ مِنْهُ بِلَا مَسَاسِ
وَلَا تَخْدَعْكَ تَبْرِيرَاتُ قَوْمٍ ... وَلَا يَغْرُرْكَ تَطْبِيلُ الْخِسَاسِ
وَإِنِّي فِي خِلَالِ النُّصْحِ أَدْعُو: ... وَقَاكَ اللهُ مِنْ شَرِّ الْأَنَاسِي
وَمِنْ وَسْوَاسِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ... يُزَيِّنُ بَاطِلًا حَتَّى انْغِمَاسِ
فَفِرَّ إِلَى الرَّحِيمِ تَنَلْ نَجَاةً ... مِنَ الْفِتَنِ الْعَظِيمَةِ وَالْمَآسِي
وَدُونَكَ مَنْهَجَ السَّلَفِ الْمُصَفَّىٰ ... مِنَ الْأَهْوَاءِ ، مَنْهَجَ خَيْرِ نَاسِ
وَفِي إِجْمَاعِهِمْ كُتُبٌ تُسَمَّىٰ: ... «أُصُولَ السُّنَّةِ» الْمَنْجَى الْأَسَاسِي
وَمَبْدَأُ جُلِّهَا بِالنَّهْيِ عَنْ أَنْ ... تُجَالِسَ أَهْلَ زَيْغٍ وَانْتِكَاسِ
فَحَاذِرْ أَنْ تُخَالِطَ ذَا انْحِرَافٍ ... نَصَحْتَ فَإِذْ بِهِ صَعْبُ الْمِرَاسِ
يُجَادِلُ وَالْحَقَائِقُ رَأْيَ عَيْنٍ ... مُفَهِّمًا الْأَدِلَّةَ بِانْعِكَاسِ

وَيَـنْـخُـرُ كُـلَّ قَـاعِـدَةٍ وَأَصْـلٍ ... فَيُمْسِي الدِّينُ مَـنْـزُوعَ الْأَسَاسِ

فَـحُـقَّ الْهَـجْـرُ زَجْـرًا وَاتِّـقَـاءً ... لِقَـلْـبِـكَ مِنْ تَـسَـرُّبِ الالْـتِـبَاسِ

وَحُـقَّ الصَّـبْـرُ وَالـتَّـذْكِـيرُ دَوْمًا ... لِمَنْ لَمْ يَـسْـتَـمِـرَّ فِي الانْـغِـمَاسِ

فَـفَـرْقٌ بَـيْـنَ مُـبْـتَـدِعٍ وَسَـاهٍ ... كَـذٰلِكَ بَـيْـنَ مُـنْـحَـرِفٍ وَنَـاسِ

وَفَـرْقٌ بَـيْـنَ عَـاصٍ مُـسْـتَـحِـلٍّ ... وَمُـعْـتَـرِفٍ مُـصِـرٍّ دُونَ يَـاسِ

فَـرَاجِعْ مَـنْـهَـجَ السَّـلَـفِ الْـعَـوَالِـي ... أُولِي الْإِنْـصَـافِ مَعْ كُلِّ الْأَنَاسِي

فَـنِـعْـمَ سُـلُـوكُ نَـهْـجِ مَنِ اسْـتَـقَـامُـوا ... عَلَىٰ مِـيـزَانِ عَـدْلٍ بِـاحْـتِـرَاسِ

وَبِـئْـسَ سُـلُـوكُ «نَـهْـجِ مُـوَازَنَـاتٍ» ... يُـؤَدِّي بِـالْأُصُـولِ إِلَى انْـدِرَاسِ

فَـأَعْـرِضْ عَـنْـهُ وَاكْـسِـرْ نَـابَ «فَـهْـدٍ» ... خَـؤُونٍ لَا يَـتُـوبُ عَنِ افْـتِـرَاسِ

وَبَـادِرْ بِـازْدِيَـادِ رِفَـاقِ خَـيْـرٍ ... بَـدِيـلًا عَنْ نِـفَـاقِ الدِّبْـلُـمَـاسِي

وَحَـذِّرْ مِـنْـهُ وَاكْـشِـفْ زُورَ دَاعٍ ... لِـنَـصْـرِ الدِّينِ بِـالْـحِـزْبِ السِّـيَـاسِي

كَـمَـا بَـيَّـنْـتَ نَـهْـبَ تَـبَـرُّعَـاتٍ ... وَأَنَّ بَـلَاءَ «غَـزَّةَ» مِـنْ «حَـمَـاسِ»

وَأَنَّ جَـمَـاعَـةَ «الْإِخْـوَانِ» عَـارٌ ... وَغَـايَـتُـهَـا الْـوُصُـولُ إِلَى الْـكَـرَاسِي

وَكُـلَّ دُعَـاةِ تَـهْـيِـيـجٍ وَفَـوْضَىٰ ... حَـمِـيـرٌ لِـلْـيَـهُـودِ وَكُـلِّ جَـاسِ

جَـزَاكَ اللهُ خَـيْـرًا يَـا «مِـشَـارِي» ... عَلَىٰ تَـبْـيِـينِ حَـالِ أُولِي انْـخِـنَـاسِ

وَأَلْـهَـمَـكَ اتِّـخَـاذَ سَـبِـيلِ رُشْـدٍ ... دَوَامًـا ، دُونَ عُـجْـبٍ أَوْ إِيَـاسِ

وَإِنِّـي إِذْ أَخُـصُّـكَ بِـالْـتِـمَـاسِـي ... فَـذَاكَ لِـحُـسْـنِ ظَـنِّـي بِـ«الْـعَـفَـاسِـي»

وَلَمْ أَنْشُرْهُ تَشْهِيرًا ؛ وَلَـٰكِنْ عَلَىٰ أَمَلِ الْبُلُوغِ إِلَى الْمَرَاسِي
وَيَشْهَدُ رَبُّنَا أَنِّي مُحِبٌّ وَأَنْصَحُ دُونَ ظُلْمٍ وَابْتِخَاسِ
وَلَيْسَ بِقَصْدِ لَمْزٍ وَانْتِقَاصٍ فَثَوْبُ الْحِقْدِ لَيْسَ عَلَىٰ مَقَاسِي
وَعُذْرًا إِنْ نَصَحْتُ وَلَسْتُ أَهْلًا لِأَنْصَحَ مِثْلَكُمْ، وَالْقَلْبُ قَاسِ
وَلَسْتُ مُبَرَّأً مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَحَسْبِي أَنَّ سِتْرَ اللهِ كَاسِ
لِذٰلِكَ فِي خِتَامِ النُّصْحِ أَدْعُو: بِمَحْوٍ لِلذُّنُوبِ مِنَ الْأَسَاسِ
لَعَلَّ اللهَ يَعْفُو عَنْ خَطَايَا جَنَاهَا غَافِلٌ حَالَ التَّنَاسِي
وَأَخْتِمُ بِالدُّعَاءِ بِكُلِّ خَيْرٍ لِسَائِرِ مُسْلِمِي جِنٍّ وَنَاسِ
فَيَا رَحْمٰنُ أَلْهِمْهُمْ رَشَادًا وَرُدَّ التَّائِهِينَ إِلَى الْمَرَاسِي
وَخُذْ بِيَدِ الْعُصَاةِ لِدَقِّ بَابٍ تَذُوبُ بِفَتْحِهِ كُلُّ الْمَآسِي
وَأَصْلِحْ حَالَ أُمَّتِنَا وَسَدِّدْ خُطَى الْقُرَّاءِ عَنْ خَطَرِ انْغِرَاسِ
وَبَارِكْ فِي الْجَمِيعِ وَفِي «مِشَارِي» وَسَائِرِ آلِ «رَاشِدٍ الْعَفَاسِي»

تمت

بحمد الله تعالَىٰ

ليلة الأحد 10 ربيع الأول 1448 هـ

مُدَوَّنَة أبي قُدامة المصري عفا الله عنه
تلاوات ◎ منظومات ◎ قصائد ◎ مقالات ◎
www.abuqudamah.com